النشاط السياسي للمبشرين في منطقة الخليج العربي

د. عبدالمالك التميمي*

مقدمة :

الارسالية الامريكية العربية

تركز العمل التبشيري المسيحي بنشاطاته الطبية والتعليمية والدينية والسياسية في منظمة بروتستانتية أسمت نفسها الارسالية العربية ذات الاهداف التبشيرية في الجزيرة والخليج العربي "The Arabian American Mission"

انشئت هذه الارسالية على يد بروفسور لانسنج Lansing وثلاثة من مساعديه هم جيمس كانتين وصموئيل زويمر وفيليب فيلبس عام ١٨٨٩ في مدينة نيوبرونزوك New Brunswick في ولاية نيوجرسي في الولايات المتحدة . وكانت هذه الارسالية تابعة للكنيسة الاصلاحية الهولندية في أمريكا .

وبعد ان وضعت خطة العمل ، رحلت طلائع الارسالية الى المنطقة مبتدئين ببيروت لدراسة اللغة العربية والتعرف على المجتمع العربي والاتصال بزملائهم المبشرين الذين سبقوهم الى هذه المنطقة . **ولم تكن بيروت غاية للمبشرين في حد ذاتها بقدر ما كانت محطة انتقالية ، مكثوا فيها عدة شهور رحلوا بعدها الى**

---

* مدرس تاريخ العرب الحديث (المغرب العربي) في قسم التاريخ بجامعة الكويت .

— حصل على الدكتوراة من جامعة درهام في بريطانيا .

— له بحث عن « الاستعمار الثقافي في منطقة الخليج العربي » قدم للندوة العالمية في جامعة البصرة ، ابريل ١٩٧٩ ، غير منشور .

— يقوم الان بترجمة اطروحته للدكتوراة الى اللغة العربية ، وهي متصلة بموضوع البحث .

منطقة البصرة في جنوب العراق وبداوا بتأسيس اول مركز رئيسي لهم اصبح لفترة من الوقت قاعدة عملهم في منطقة الخليج . ومن البصرة بدأ نشاط المبشرين في مناطق الخليج واحدة بعد الاخرى مركزين على المناطق الاستراتيجية فافتتحوا مراكز رئيسية في البحرين ١٨٩٢ ومسقط ١٨٩٣ والكويت ١٩١٠ ، كما افتتحوا مراكز ثانوية ، على أمل ان تصبح رئيسية ؛ في **العمارة** في جنوب العراق **ومطرح** في عمان ؛ وحاولوا العمل في قطر الا ان المحاولة فشلت . كما قاموا بعدة زيارات لاجزاء شبه الجزيرة العربية .

تركزت نشاطات تلك الارساليات على النواحي الطبية والتعليمية كوسائل للتبشير الديني ولا ينكر دورهم الهام والايجابي في مجال الخدمة الطبية الا انه كان لهم نشاط سياسي أيضا ..

وفي هذا البحث محاولة للتعرف على هذا النشاط وتحليله والتأثير الذي احدثه ؛ سلبا او ايجابا ؛ على عملهم التبشيري ، ولتأكيد حقيقة معينة وهي **أن كثيرين من مبشري القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانوا يمزجون بين العمل السياسي والتبشيري** وان هذا الدور السياسي كان من اسباب فشل عملهم في المنطقة .

التورط السياسي للمبشرين

جاءت حركة الاستعمار نتيجة حدثين تاريخيين هامين احدهما وقع في القرن السادس عشر وهو **الكشوف الجغرافية** والاخر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهو **الثورة الصناعية** . مع هذه الحركة ومواكبة لها بدات الارساليات التبشيرية الاوروبية نشاطاتها في المناطق التي تقع تحت النفوذ الاستعماري .

وتحالف الجانبان الاستعماري والتبشيري حيث وجدوا ان هناك هدفا مشتركا يجب التعاون لتحقيقه . والحقيقة ان قادة الفريقين كانوا يحملون فكرة دينية سياسية مشتركة ولدت نتيجة التطورات الثقافية التي شملت الاحداث السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية ابتداء من الحروب الصليبية وعصر النهضة والاصلاح الديني والكشوف الجغرافية والثورة الصناعية الى عصر الاستعمار في القرن التاسع عشر .

وقد نتج عن تلك الاحداث تغييرات طبيعية وثقافية واقتصادية وسياسية عميقة كانت مصحوبة دون شك بتغييرات عظيمة مماثلة في الجانب الروحي .

رغم مضي زمن طويل ووقوع تغييرات عميقة الجذور في أوروبا ، فان العقلية الغربية في القرن التاسع عشر ظلت تحمل طابع التفكير الصليبي ، لذا كان المبشرون والمستعمرون يعملون معا وفي ميدان واحد . ومن المفيد معرفة طبيعة العلاقة التي كانت تربط بينهما ، وكيف **رأى المبشرون أن الاستعمار هو الجسر الذي يمكنهم من العبور الى البلاد غير المسيحية** . وفيما يلي آراء بعض الكتاب الغربيين في هذه المسألة :

« انها لحقيقة جغرافية أن التوسع الاستعماري كان الاشارة المباشرة لبدء العمل التبشيري » (١) .

« ان النفوذ الغربي هو ايضا مسؤول عن وجود المبشرين المسيحيين » (٢) .
«الواقع أن هناك ارتباط بين الارساليات المسيحية والمؤسسات الاستعمارية. ان الحاضر الثقافي الذي فتح العالم أمام الاستعمار هو الذي أتاح الفرصة للكنائس المسيحية للتفكير في الارساليات التبشيرية الاجنبية » (٣) .

« لقد كان المبشرون يجدون عونا كبيرا في وجود القناصل الاوروبيين الذين كانوا يؤمنون لهم قدرا معينا من الهيبة السياسية » (٤) .

« ونتيجة لنشاط الارساليات المسيحية في عهد الاستعمار فان الكنيسة المسيحية موجودة في كل ركن من أركان العالم » (٥)

هذه بعض الامثلة من آراء المبشرين والكتاب الغربيين حول طبيعة العلاقة بين العمل التبشيري والاستعمار . ويمكن أن نخلص من قراءة هذه الاراء الى أن هناك ارتباطا وثيقا بين الاثنين . فالقوى الاستعمارية خدمت العمل التبشيري في اتجاهين ، الاول هو تمهيد الطريق امامه لممارسة نشاطه (٦) ، والثاني توفير الحماية اللازمة له في ميدان عملياته .

ويرى المبشرون ان وجود عملهم وحمايته لم يكن ممكنا بدون مساعدة القوى الاستعمارية . ولم يكن هذا الدعم في الحقيقة بدون ثمن ، فقد وجد المبشرون انفسهم ملزمين بتقديم تقارير منتظمة عن الاوضاع السياسية والاجتماعية السائدة في مناطقهم . وقد تمكن المبشرون — عن طريق اتصالهم المباشر بأهل البلاد وبزعمائهم من الحصول على معلومات لم يكن المستعمرون قادرين على الحصول عليها بدونهم .

وقد أجبرت هذه العلاقة المواطنين على مقاومة الاستعمار والتبشير بنفس

المستوى دون اي تمييز بينهما ، لكونهما غربيين ومسيحيين ، وكان المبشرون يعملون تحت جناح القوى الاستعمارية واستمر هذا الارتباط السياسي حتى الحرب العالمية الثانية . ثم بدأ يضعف بعد الحرب باضمحلال الاستعمار التقليدي . وقد وضعت هذه المرحلة الجديدة حدا للروابط المشتركة الطويلة بين التفكير السياسي والديني عند الغربيين والذي بدأ مع نشوء الاستعمار الغربي في القرن التاسع عشر . ولكن هذا لا يعني على أية حال أن الصلات بينهما قد انقطعت تماما وسيتضح ذلك من دراسة العلاقة بين الارسالية العربية الامريكية والقوى السياسية في منطقة الخليج العربي . وانه لمن الاهمية بمكان اضافة نقطة اخيرة قبل المضي قدما في هذا البحث ، وهي ان هذا التورط السياسي لم يكن يشمل المبشرين جميعا . اذ ان بعضهم كانوا غير راضين عن الاستعمار في شتى صوره واشكاله ، ولكن هؤلاء كانوا قلة ، ولم يكونوا قادرين على التأثير على الروابط بين ارساليتهم والقوى الاستعمارية في وقت كان كل جانب يحتاج الى معونة الجانب الاخر . يضاف الى ذلك المفهوم الخاطيء الذي كان يحمله معظم المبشرين وهو ان الاستعمار هو الذي فتح ابواب العالم على مصراعيها أمام العمل التبشيري وان الحضارة الغربية هي حضارة مسيحية ، يجب ان تصل الى العالم عن طريق التعاون بين المؤسسات السياسية والمؤسسات الدينية .

الارسالية العربية الامريكية والقوى السياسية في المنطقة

بدأت الارسالية نشاطاتها في منطقة الخليج العربي في وقت كانت العلاقات بين القوى المختلفة هنا قد أصبحت معقدة وصعبة ، ودخلت القوى المحلية والعالمية في صراع حاد للسيطرة على هذه المنطقة الهامة من العالم . وقد ادى هذا الصراع الى القضاء على الامبراطورية العثمانية واخضاع معظم مناطق الوطن العربي لنفوذ القوى الغربية . لقد كان عمل الارسالية حساسا في تلك الفترة الحرجة وفي ظل تلك الظروف ، لكنها نجحت في الخروج منها ووجدت مجالا جيدا لنشاطاتها .

وقد بلغت حدة الصراع بين القوتين السياسيتين الرئيسيتين في المنطقة — الامبراطورية العثمانية والامبراطورية البريطانية — حدا ينذر بالانفجار ، وترك صراع تلك القوى بصماته بشكل مؤثر على نشاط الارسالية الامريكية العربية التي بدأت عملها في العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، بخاصة وانها بدأت بالعمل في ميدان يخضع لسلطتين متصارعتين في آن واحد وهما السلطة العثمانية في جنوب العراق والسلطة البريطانية في الخليج العربي .

وقد كان لهذا الموقف اثر كبير في الحد من نشاط الارسالية ، وادى الى نشوء

علاقة خاصة بين الارسالية وبين هذه القوى السياسية . فالسلطات العثمانية اولا كانت تسيطر على جميع الاقطار العربية باسم الاسلام ، وكان لهذا اثـر سلبي على جميع انواع العمل التبشيري في البلاد . والواقع ان الصدام بينهمـا وبين هذه السلطات بدأ بافتتاح اول محطة تبشيرية لها في البصرة ، وفي اثنـاء ذلك اصبح للاستعمار البريطاني نفوذ كبير ومؤثر في المنطقة التي ستكون المسرح الحقيقي لنشاط الارسالية الامريكية العربية التبشيرية .

لقد كان للاستعمار البريطاني موقف خاص من هذا النوع من النشاط ، فقد كان يهمه بالدرجة الاولى أن يعلم ما اذا كان هذا النوع من النشاط الامريكي سيؤدي الى احتمال مجيء مواطنين امريكيين للاستقرار والعمل في المنطقة وهذا بدون شك ، من وجهة نظر بريطانيا ، سيمهد الطريق امام النفوذ الامريكي وبذلك يزاحم وينافس النفوذ البريطاني في هذه المنطقة الهامة (٧) . ولما كان المبشرون من البروتستانت ويتركز نشاطهم على الاعمال في منطقة تخضع لنفوذ السلطات البريطانية فقد سمحت لهم تلك السلطات بذلك . وفي الوقت الذي كانت فيـه السلطات البريطانية تخطط لاستغلال هؤلاء المبشرين لصالحها ؛ كانت الارسالية تشعر بأنها في موقف حساس وحرج لكونها ستتقابل مع قوى متناقضة متصارعة وهي نفسها مشكوك فيها من قبل هذه القوى . لكن جانب من المشكلة انتهـى عندما انهارت الامبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الاولى . ومنذ ذلك الحين خضعت المنطقة للنفوذ البريطاني ، وهكذا اصبحت علاقات الارسالية مرتبطـة بالنفوذ البريطاني اولا ثم البريطاني والامريكي والمحلي ثانيا .

وكان الهدف الرئيسي للعلاقة الخاصة مع السلطات البريطانية هو تأمين وجود العمل التبشيري في المنطقة واستمراره ومساندته ، وهذا الهدف يتطلب اقامة علاقات طيبة ومرنة مع الحكومة المحلية ايضا ، وقد اضطر هذا الموقف السياسي المتشابك الارسالية الامريكية لانتهاج مسلك يبتعد كثيرا عن مهمتهـا الاساسية كقوة تبشيرية * ، والواقع أن هذا المسلك كان يهدف الى خلق مناخ ملائم لاعمالهم التبشيرية فضلا عن أن قادة الارسالية لم يكونوا يعتقدون بـأن ذلك المسلك يخل برسالتهم ومهمتهم الدينية والانسانية . نتيجة لكل ذلك الفهم وتلك العقلية نشأت علاقات معينة مع السلطات البريطانية والعثمانية والامريكية

---

* كانت العقلية التي يحملها مبشرو الارسالية الامريكية العربية عقلية القرن التاسع عشر وهي التي صبغت الجيل الاول من مبشري هذه الارسالية . هذه العقلية التي كانت تخلط بين السياسة والنشاط التبشيري فلم يكن المبشرون في ظلها يرون تناقضا اساسيا بينهم وبين المستعمرين بل ان بعضهم من المستعمرين انفسهم .

والمحلية وفي ظل تناقض وتنافر المصالح بين هذه القوى أو اتفاق بعضها كان الموقف الحساس للمبشرين الذين تمكنوا من التكيف مع تلك الاوضاع ولفترة ليست قصيرة من الزمن ، ولكن كان لذلك ثمن فقد خرجوا عن مهمتهم ورسالتهم وتورطوا في نشاطات سياسية مضطرين في بعض الاحيان ومختارين لها في احيان اخرى مما ادى الى انعكاس هذا التورط على عملهم وعلاقتهم بالمواطنين * .

علاقات الارسالية الامريكية العربية مع السلطات العثمانية

لقد بدأت الارسالية تعاملها مع السلطات العثمانية اولا ، ذلك لان اول مركز لها كان في البصرة الواقعة تحت النفوذ العثماني . ولم تكن الارسالية في الواقع تتوقع مواجهة صعوبات رئيسية على يد السلطات العثمانية بسبب ضعفها وقتذاك . ولان المبشرين كانوا امريكيين وليسوا من الانجليز خصوم العثمانيين ، لكن هذا لا يعني أن العثمانيين لم يكن لهم تحفظ على بعض نشاطات المبشرين . لقد كان اعتراض السلطات العثمانية الرئيسي هو أن أطباء الارسالية يجب أن يحصلوا على شهادة دبلوم تركية في الطب ليسمحوا لهم بمزاولة العمل هناك ، كما ان هذه السلطات كانت تخشى أن يكون للمبشرين علاقات سياسية مع السلطات البريطانية والتي كانت العدو الرئيسي للعثمانيين في ذلك الوقت . وكان موقف السلطات العثمانية من المبشرين لا يسمح لهم بمهاجمة الدين الاسلامي أو القاء الخطب في الاماكن العامة أو بيع وتوزيع أية منشورات تشكك في الاسلام ، وقد جاء هذا الاجراء من جانب العثمانيين منسجما مع سياستهم القائمة على الحكم ، كما جاء متفقا مع خشيتهم من ان تكون لهؤلاء المبشرين اغراض سياسية وقد سبب هذا الموقف بعض المتاعب للارسالية ولكنها لم تكن من الخطورة بحيث تهدد العمل التبشيري .

وما من شك في ان وضع الارسالية القلق في ذلك الوقت كان من بين المشكلات التي واجهتها ولكنها كانت تدرك أن مستقبل المنطقة سيكون في يد السلطات

---

* لقد تركز نشاط الارسالية الامريكية العربية في النصف الاول من القرن العشرين . وقد شهدت المنطقة احداثا سياسية هامة خلال هذه الفترة فهناك حربين عالميتين الاولى والثانية وانعكاساتهما وهناك حركات الاستقلال في المنطقة العربية وتاثيرها وهناك قضية فلسطين وظهور وتصاعد حركة القومية العربية . هذه الاحداث جعلت الانسان العربي في المنطقة ينظر الى الانسان الغربي الذي يمارس نشاطات سياسية او غيرها على انه معاد له ولامانيه وفسر النشاط التبشيري بانه عمل ذو اهداف سياسية متخذا لنفسه شعار الدين والخدمة الانسانية .

البريطانية وعليه فقد رسمت سياستها على هذا الاساس اي ان تتعامل مع تلك السلطات اكثر من تعاملها مع اية جهة اخرى . ولم يكن هذا الموقف بسبب ادراك المبشرين لمستقبل النفوذ البريطاني فحسب بل بسبب وجود تجانس بين العملية الاستعمارية وعقلية المبشرين كذلك ، مما اكسبهم حمايـــة المستعمرين الانجليز وتعاونهم ، وقد اكد هذا الشعور الرسالة التي تلقتها الارسالية من وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ١٥ ابريل سنة ١٩١٠ والتي جاء فيها :

« ان حكومة صاحبة الجلالة تتعاطف تعاطفا تاما مع مشروع الارساليـــة الامريكية » (٨) .

وقد واجه نشاط الارسالية بعض الصعوبات من جانب العثمانيين ، ولكن عمل الارسالية كان يتصف بالمرونة كي يتكيف مع الظروف ويتمكن من البقـــاء والاستمرار ، لذلك فان الارسالية لم تتخذ مواقف متشددة من هذه السطات في اي ظرف من الظروف ، لانها لم تكن تملك القوة التي تمكنها من مواجهة تلـك السلطات ، ولانها لم تكن ترغب في الدخول في نزاعات تستنزف طاقاتها وقد تنهي نشاطها التبشيري وتنحرف به عن هدفها الاساسي الديني والانساني المعلن . والحقيقة ان **السلطات التركية كانت تخشى النشاط التبشيري ولكنها لم تتخذ اية اجراءات ضده** لانها كانت تعلم ان المبشرين كانوا يعملون بصفتهم رعايا للبـــلاد التي ينتمون اليها وتحت حماية علم وقنصليات بلادهم . وقد حافظت الارساليـــة الامريكية العربية ، على وجودها بسبب جنسيتها الامريكية لان نزاع السلطات العثمانية الحقيقي كان مع الانجليز وليس مع الامريكيين . لقد كان المبشرون فـــي الحقيقة عندما تعترضهم أية مصاعب يلجأون الى قناصلهم طلبا للمعونة التي كانت تقدم لهم باستمرار .

علاقة الارسالية بالسلطات البريطانية

عندما بدأت الارسالية الامريكية عملها في المنطقة كان النفوذ البريطاني ينمو تدريجيا الى أن تمكن من السيطرة على المنطقة بكاملها ، وكان خصمه الرئيســـي في الشرق الاوسط هو الامبراطورية العثمانية ، ولهذا فقـــد كانت السلطات البريطانية تهتم بكل نشاط يأتي من المناطق التابعة للسيادة العثمانية . وعندمـــا بدأ نشاط الارسالية في البحرين بعد البصرة اهتم البريطانيون بهذا النشـــاط لسببين : الاول أن هذه الارسالية قد بدأت عملها في البصرة التي كانت تحت السيادة العثمانية وربما هناك علاقة معينة بين هؤلاء المبشرين والسلطـــات العثمانية . والثاني ، تخوف السلطات البريطانية من ان يؤدي هذا النشـــاط التبشيري الامريكي في المستقبل الى وجود نفوذ أمريكي في المنطقة . لهذين السببين

كان موقف السلطات البريطانية يشوبه الحذر . لهذا قررت السماح لهم بالعمل ولكن بشرط أن يكون تحت سيطرتها ومراقبتها . ومن ناحية اخرى حاولت ان تقوم بنشاطات صحية مماثلة لنشاط الارسالية الامريكية في البحرين ومسقط والكويت (٩) ، حتى لا يكون هناك مبررات للوجود الامريكي في المنطقة . وعندما وجدت السلطات البريطانية ان هذه السياسة لم تضع حدا لنشاط الارسالية الامريكية ، قررت وضعها بشكل كامل تحت اشرافها أو حسب ما أوضحت تحت حمايتها . ويبدو أن تلك السلطات كانت تعتبر نشاط الارسالية الامريكية اكثر من مجرد عمل تبشيري ، لذا الزمت الارسالية باصدار تعهد من قبلها بعدم وجود علاقة بين فرع الارسالية في البصرة وبين الفروع الاخرى في الخليج وعدم وجود علاقة من اي نوع مع السلطات العثمانية (١٠) .

ولعل ابرز ما كان يهم البريطانيين هو معرفة ما اذا كان موقف هؤلاء المبشرين معاديا للسياسة البريطانية أم لا . وقد جرى التأكيد على ذلك في عدد من التقارير الرسمية والرسائل المتبادلة بين المسؤولين البريطانيين في المنطقة والتي كان معظمها سريا ، وقد بعث الوكيل السياسي البريطاني في الكويت برسالة الى نائب المقيم البريطاني في الخليج يقول فيها :

« انني على يقين من ان موقف بعض من قابلتهم من المبشرين لا يتصف بمودة حقيقية ، واي فرد يحمل مشاعر معادية للبريطانيين تكون لديه فرصة كبيرة للاساءة الينا لما للارسالية من تأثير عن طريق المستشفى والمدرسة ... ومن المناسب التوصل الى اتفاق مع حكومة الولايات المتحدة بشأن نشاط الارسالية بحيث أنهم اذا تعرضوا للمصالح البريطانية فان للسلطات البريطانية الحق في انهاء عملهم » (١١) .

ونتيجة لذلك ، نشط رجال السلطات البريطانية لتطويق هذه الارساليات ومراقبة نشاطاتها وعقد صداقات مع المبشرين لتحقيق هذا الهدف . وقد ادركت السلطات البريطانية من خلال احتكاكها وملاحقتها لنشاط المبشرين الامريكيين ان بعضهم كان متمشيا مع السياسة الاستعمارية وبعضهم كان متحفظا عليها ، في حين وقف البعض الاخر موقفا معاديا لها . اما بالنسبة لموقف المبشرين من السياسة البريطانية فان بعض قادتهم قد تورطوا في خدمة تلك السياسة . واقرب دليل على ذلك التقارير التي كان يكتبها المبشرون للسلطات البريطانية عن المنطقة واشهرها تقرير الدكتور **بول هرزون** احد ابرز وانشط قادة الارسالية الامريكية العربية ، والذي يتحدث فيه عن الاوضاع السياسية في المنطقة وينصح بريطانيا في كيفية التعامل مع حكامها واوضاعها القبلية (١٢) .

هناك الاحتمالات التالية لمثل هذا الدور الذي لعبه المبشرون ؛ الاول : ان عقلية المبشرين في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لا ترى تناقضا بينها وبين النشاط الاستعماري ، وقد اكد ذلك الدكتور هرزون نفسه عندما ذكر بأن **اكبر رصيد سياسي للادارة الاستعمارية في اقليم ما هو سمعة طبيب الارسالية ، وما لم يحصل المبشرون على حماية الحكومات الغربية بقوتها الحربية فانهم لن يتمكنوا من اعلان رسالتهم المسيحية** (١٣) .

الثاني : وهو الدور الذي يبرره بعض المبشرين المعاصرين من ان السبب وراء هذا التصرف من قبل اولئك المبشرين امثال الدكتور هرزون هو انه **لا بد من أن يثبتوا للسلطات البريطانية ولاءهم حتى يسمح لهم بالبقاء والاستمرار في المنطقة** (١٤) .

لكن هذا الراي الاخير لا يبرر مثل هذا السلوك من قبل المبشرين ذلك لان هذا السلوك قد يؤكد للسلطات البريطانية اهتمام الارسالية بالقضايا السياسية واحتمال أن يلعب رجالها دورا مزدوجا لصالح الانجليز والامريكيين في آن واحد ؛ فضلا عن ان هذا النشاط يتعارض مع الاهداف المعلنة للارسالية من انها دينية وانسانية . ان مثل هذا النشاط يوضح تورط المبشرين السياسي ، ولم يكن تقرير الدكتور هرزون هو النشاط السياسي الوحيد فهناك اخرون قاموا بمثل هذا النشاط واكثر من ذلك (١٥). ان كثيرا من المعلومات التي نقلها المبشرون للسلطات البريطانية قد ادت في بعض الاحيان الى اعادة النظر في كثير من الامور من قبل تلك السلطات وهذا واضح في رسالة الوكيل البريطاني في البحرين الى نائب المقيم البريطاني في الخليج بتاريخ ٤ مايو ١٩١٧ (١٦) .

ان السماح للمبشرين الامريكيين بالعمل في المنطقة كان بمقابل وبثمن دفعه المبشرون بالولاء والعمل مع السلطات البريطانية لضمان مستقبلهم واستمرار عملهم بأنهم لم يكونوا يرون تناقضا رئيسيا بينهم وبين النشاط الاستعماري .

علاقات الارسالية مع الحكومة الامريكية

ان تنسيقا امريكيا بريطانيا قد تم بشأن حماية العمل التبشيري المسيحي البروتستانتي تلبية لما تم واقر في المؤتمر التبشيري البروتستانتي الذي عقد في ادنبرة في بريطانيا عام ١٩١٠ من ضرورة دعم الحكومتين الامريكية والبريطانية للعمل التبشيري . لكن نتيجة للظروف السياسية ومصالح كل دولة استعمارية فقد كانت كل منهما تحارب مبشري الدولة الاخرى وقد حدث ذلك اثناء الحرب العالمية الاولى . اما ما يتعلق بالارسالية الامريكية العربية وعلاقتها بالحكومة

الامريكية فانه من الغريب ان الارسالية تمكنت من ان تكون لها علاقات متوازنة مع كل من بريطانيا وامريكا وقوى اخرى في المنطقة طوال فترة ليست قصيرة رغم تضارب سياسات ومصالح تلك القوى مما افسح المجال امام الولايات المتحدة لكي تعين اول قنصل امريكي لها في البصرة عام ١٩٠٠ واصبح مسؤولا عن المصالح والرعايا الامريكيين في منطقة الخليج العربي (١٧) .

وكان المبشرون الامريكيون يشعرون بأن الحماية الحقيقية لهم هي تلك التي توفرها لهم حكومتهم . وقد رحب هؤلاء المبشرون بدخول الولايات المتحدة الامريكية الحرب العالمية الاولى لانهم راوا ان ذلك سيؤدي الى توحيد العالم الانجلو ــ سكسوني سياسيا ودينيا ، وقد حمل هذا الامر الولايات المتحدة الى تبني سياسة حماية جميع رعاياها في خارج البلاد سواء كانوا مبشرين او تجارا او غير ذلك ، وقد كان في هذه السياسة تشجيع كبير للمؤسسات الدينية ، ومن هذا يتضح دور الحكومة الامريكية في دعم العمل التبشيري في الخارج . لقد ذكر « جون دي نوفو » **بأن المبشرين هم المرآة التي يرى الامريكيون من خلالها الشرق الاوسط وكانوا كثيرا ما يطلبون الدعم الدبلوماسي من دوائر الدولة ويحصلون عليه** (١٨) .

كما ذكرت السيدة « نايكرك » حول تورط الارسالية العربية السياسي **« اننا احيانا يكون لنا نشاط سياسي .. لقد حاولنا ان نكون مواطنين صالحين وسفراء لبلادنا الى جانب قيامنا بخدمة الله باخلاص »** (١٩) .

وهذا الكلام يوضح الروابط السياسية بين الارسالية والحكومة الامريكية وان قضية التورط السياسي واردة بشكل واضح في تصرفات الارسالية . لقد استخدم المبشرون جنسيتهم الامريكية كمظلة لحماية وجودهم وعملهم التبشيري . وقد اكد بعض كبار الارسالية على المساعدات التي كانوا يحصلون عليها من القنصليات الامريكية والبريطانية . « وكان يساعدنا كثيرا في عملنا علاقات ارساليتنا الودية في ميدان العمل مع القنصليات الامريكية والبريطانية » (٢٠) .

وهكذا فان المبشرين كانوا يعملون في جو من الامان بسبب الحماية التي تكفلها حكوماتهم لهم . هذه الحماية واضحة في الرسالة التي بعث بها نائب القنصل الامريكي بالوكالة في مسقط الى سلطات مسقط بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٠٩ جاء فيها :

« طبقا للقوانين الدولية الخاصة بحماية المبشرين ، فان المبشرين الموفدين من الطوائف الدينية في امريكا الى البلاد الاسلامية او الوثنية لهم الحق في

الحصول من الحكومة على جميع انواع الحماية التي يخولها لهم القانون الدولي من حيث الاقامة في بلاد اجنبية لمزاولة اعمالهم المشروعة » (٢١) .

ليس هناك دليل اوضح من هذا على الحماية الامريكية الرسمية للمبشرين . ولم يكن هذا الاهتمام الامريكي بالمبشرين في هذه المنطقة الا لان بعض المبشرين كانوا يقومون بنشاطات سياسية . وليس هناك اوضح من دورهم في البصرة لدعم القوات البريطانية اثناء الحرب العالمية الاولى وقد ترتب على وجودهم ونشاطهم حدوث تغلغل ثقافي غربي هادي ظهرت نتائجه بعد فترة طويلة .

أما عن **علاقة الارسالية بالحكام المحليين في منطقة الخليج فكانت تقوم على اساس تكتيكي ذكي في التعاون معهم وتوفير الخدمات الطبية لعائلاتهم وعدم الدخول في النزاعات المحلية ، وكسب صداقات القوى المتنفذة في مناطق الخليج .**

وبعد الحرب العالمية الثانية وبعد بدء سقوط الاستعمار التقليدي بدأ المبشرون يغيرون موقفهم ، لا بل بدأ جيل اخر يحمل عقلية مرنة في تعاملها مع سكان المنطقة ، فتحولوا من الرفض الكامل للدين والثقافة في المنطقة الى التاكيد على الحوار والحد من التبشير بين المواطنين وتركز نشاطهم وسط المسيحيين الذين وفدوا الى المنطقة بعد استخراج النفط .

وخلاصة القول ان الارسالية الامريكية قد تورطت في القضايا السياسية مختارة ومرغمة . والفكرة الاساسية التي تبرر بها تورطها هي اهتمامها ببقائها واستمرارها ، لكن يبقى الامر الهام وهو ان هؤلاء المبشرين هم جزء من ثقافة غربية سادت في القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين وهي ثقافة استعمارية * .

---

* هناك ملاحظتان يجب الاشارة اليهما حول التورط السياسي للارسالية الغربية :

الملاحظة الاولى : هي انه لم يكن جميع افراد الارسالية متورطين سياسيا او كانوا يؤمنون بالافكار الاستعمارية انما بعضهم وبعض قادتهم فحسب .

الملاحظة الثانية : هي ان هذا التورط السياسي الذي عالجناه لا يمنع من تسليط الضوء على النشاطات الطبية الجليلة التي قدمتها الارسالية لمنطقة الخليج في فترة هي اهوج ما تكون فيه الى مثل هذا النشاط الطبي الحديث .

المصـــــادر

1- **Mrs. Crowe. The Moslem World (Magazine).** Vol. II, 1912. p.270.

2- **O'Leary De Lacy. Islam at the Cross Road.** London: 1932. p.56.

٣ ــ مقابلة للكاتب مع السيد لويس سكادر . الكويت ، اكتوبر ١٩٧٤ .

4- **Barks, J. Whose Lands?** Britain: 1949, 1970. p.201.

5- **Neil Stephen. Colonialism and Christian Mission.** U.S.A.: p.425.

6- **Samra, Mahmud. Christian Mission and Western Ideas in Syrian Muslim Writers (1860-1918).** Ph.D. Thesis 1958. University of London. S.A.O.S.

7- India Office Records. London: I.O.R. R/15/2/32/ Bahrain: 20 February, 1918.

8- **Ibid.** R/15/3/6/6. April 5th, 1910.

9- **Lorrimer, J.G. The "Persian" Gulf Cazeteer.** London: Vol. I. pp. 602-3.

10- India Office Records. I.O.R. R/15/5/313. Kuwait, 1910.

11- Ibid. R/15/2/32. Bahrain, 20th. Feb. 1918.

12- Dr. Harrison, P. **Ibid.** R/15/2/1/32. Bahrain: April 1918.

13- Dr. Harrison, P. **The Moslem World of To-Day.** London: 1925. pp.325-23.

١٤ ــ مقابلة للكاتب مع السيد لويس سكادر . الكويت ، يناير ١٩٧٦ .

15- **Van Ess. D. Pioneers in the Arab World.** Michigan: 1974. pp.84-85.

16- India Office Records. I.O.R. R/15/2/1/32. Bahrain :1918.

17- **Lorrimer, J.G. The "Persian" Gulf Gazeteer.** Vol. I, p. 348.

18- De Novo, A.J. **American Interests and Politics in the Middle East 1900-1939.** London: Oxford University Press. 1963. p.8.

١٩ ــ مقابلة للكاتب مع السيدة ر. نيكرك . البحرين ، اكتوبر ١٩٧٤ .

20- **Zwemer, S. & Cantine, J. The Golden Milstone.** New York: 1908. p.99.

21- India Office Records. I.O.R. R/15/3/5/5. 1909.